جمعية العلماء لعموم كيرالا

جمعيـة العلمـاء المشـهورة باسـم "سمسـتا" اتحـاد عظـيم لمشـاهير العلمـاء السـنيين، أسست لارشاد مسلمي كيرالا في المجالات الدينيـة والعلميـة والثقافيـة ومـا إليهـا. وق مرت على هذه الجمعية ثمانون سنة كاملة، شكلت حينما انخط مسلموا هذه البلاد إلى حضيض الفساد وعدم الشعور. ومـن الجدير بالـذكر، أنهـا قامـت بنشـاطات مهمـة قد حظيت بقبـول حسـن بـين النـاس، وممـا زادهـا عـزا وفخـرا قيـادة مئـات مـن العلمـاء العبـاقر ذوي أذهـان وأفهـام ثاقبـة حتـى صـارت ثـورة فـي تـاريخ مسـلمي كيـرالا لا يمحوها كر الأزمان ولا مر الأدهار.

الخلفية:

إن مسلمي كيرالا الذين هم ٢٤،٧ في المائة من بين سكانها الآخرين يتميزون بأمور كثيـرة مـن مسـلمي الولايـات الهنديـة الأخـرى ويختلفـون بخصوصـيات عديـدة، وقد بزغت شمس الإسـلام فـي أفق جنوب الهند قبل أن تبـزغ فـي شمالها بـأعوام كثيـرة حيث إن تجـار العـرب وأصـحاب الـدعوة قـاموا بتبليـغ الرسـالة الإسـلامية فـي هـذه الأراضـي حاملين في أيديهم النزاهة والطهارة والأخلاق الحسنة.

وممـا يميز مسـلمي مـن المسلمين فـي الولايـات الأخـرى، ارتبـاطهم الوطيد بـالعرب واتبـاعهم المـذهب الشـافعي فـي الفقـه، وأيضـا أنهـم لـم يكـن فـي أيـديهم زمـام الملـك والحكومة كما كان للمسلمين في شمال الهند بل قضوا حياتهم فـي التجـارة والزراعـة ونـحوهما. وما كان لديهم أية عوائق لغوية تعضلهم من الأمـة غير المسلمة حيث إن الكيـراليين بأسـرهم يتكلمـون لغـة واحـدة وهـي اللغـة المليالميـة، ولـم ينطقـوا باللغـة الأردية كلغة الأم.

والمسـلمون فـي كيـرالا كـانوا موهـوبين بـالإئتلاف المتنـاسق بـين القـادة الدينيـة لأن الشخصيات البارزة من السادات والعلماء العباقرة وأهل القدوة من الرجـال الصـوفية تبرعـوا بقيـادتهم المـؤثرة كيـد واحـدة للمسـلمين فـي كيـرالا طـوال القـرون السـالفة

بصرف النظر عن المشكلات والمعضلات. ومن أجل هذا لم يظهر بينهم اختلاف ديني باسم العقيدة الإسلامية قبل القرن العشرين، بينما الاسلام قد صار غرض المغرضين ودعاة التجدد والمستعمرين في أنحاء العالم الأخرى، فجزى الله مساعي هؤلاء السادة الدينية والعلماء الذين شدوا حيازيمهم لتفريق جمع أعداء الاسلام ودافعوا عن العقيدة الإسلامية الصحيحة أي دفاع. ومن الجدير بالذكر أن هذه القيادة الروحية شكلت انتظاما تربويا ومناهج دراسية مختلفة لبث العلوم الإسلامية إلى كل فرقة من الأمة وسلكت في ذلك سبيلا مثل المكاتب للتعليم الابتدائي وحلقات الدروس في المساجد للتعاليم العليا ومجالس الوعظ والنصيحة للتعاليم العامة.

وفي مطلع القرن العشرين قد تسربت الثقافة الغربية في جميع مراحل الحياة وانقلبت الثقافة الاسلامة ظهرا لبطن وتسلل الأخطبوط الغربي المدهش في أرض كيرالا أيضا. ومما قوى عمل التجدد والتغريب الوقائع المؤلمة التي وقعت سنة ١٩٢١ ميلادية اثر الإغارات البشعة التي شنها المستعمرون نحو المسلمين.

وعلى كل حال كان التجاوب لهذه الحالة الحجيثة في صورة انتاج ثلاث فرق في الأمة. فرقة تكونت من الشخصيات الممتازة والمفكرين المدعين اجترؤوا على اعتناق العصرانية والثقافة الغربية تماما، ومزقوا الدين زاعمين بأن الدين هو منشأ التخلف. وفرقة ثانية تشكلت من شخصيات التعاليم الحديثة وتأثرت بالوهابية والسلفية ونحوهما، وهذه الفرقة قد أولت الإسلام خلف تأويل السلف الصالحين له وبذلت قصارى جهدها لمخالفة العلماء الذينقاموا بقيادة الأمة المسلمة عدة قرون، روعلاوة على ذلك قد نفدت بعض العلوم الإسلامية التي تلقتها الأمة بقبول حسن كابرا عن كابر.

أما الفرقة الثالثة التي تكونت من القيادة الروحية وتضم المشايخ الصوفية العظام والعملء الجهاذب، وكان ينبغي عليهم أن يدفعوا الأمة الميلمة من جهتين، أولا المدافعة عن تاثرات العصراينة والثقافة الغربية من جانب من أيدي تأثرات الوهابية والسلفية التي توغلت في العقيدة الإسلامية من جانب آخر. وللتقابل لهذين التحدين في وقت واحد فكرت هذه الفرقة الثالثة في بث العلوم الدينية ونشر التقاليد العظيمة وحفاظة التراث الذي وصل إلينا من السلف الصالحين. وكانت جمعية العلماء لعموم كيرالا وليدة هذه الفكرة.

التشكيل:

إن جمعية العلماء لعموم كيرالا المشهورة باسم "سمستا" منظمة تحتوي على العلماء العباقرة من أهل السنة والجماعة واذين يهتمون بالدعامة العليا من بين المسلمين. وتشكيل جمعية العلماء لعموم كيرالا كان تجاوبا لهؤلاء العلماء التقليديين للحالة البشعة التي حصلت بعد ١٩٢١، والتي شاهدت الأمة في كيرالا لتنقل السيادة والدينية من الأشخاص إلى المنظماتوالجمعيات. وكانت سرعة أعمال التغريب والتجدد وأفكار محمد بن عبد الوهاب ورشيد رضا ومحمد عبده وجمال الدين الأفغاني قد أقضت مضاجع هؤلاء العلماء وأقلقت بالهم. وهؤلاء المفكرون ظهروا في بداية الأمر باسم جمعية اتحاد المسلمين في كيرالا التي أسست في كودونغلور من ولاية كوشين سنة ١٩٢٢م بأيدي مولوي إي كي مولوي وامثالهم، وبعدئذ شكلوا منظمة للعلماء الكيرالاوية في حفلة تستغرق يومين المدعو إليها علماء يكثر تعدادهم. ومن الحقيقة الظاهرة أن علمائنا القدامى لم يقوموا بمخافة هذه الجمعية في أول وهلة على العلانية.

ولما ترقت هذه الجمعية إلى تنقيد الطقوس والعادات ومخالفة التراث الإسلمي الذي استمر في هذه الأراضي منذ عدة قرون والتي ترعرعت في ظل العلماء والسادة وعلى رأسهم العلماء المخدومين، وخالفوا كثيرا من القيم الإسلامية النبيلة ورموا أهلها بالشرك والبدعة صار العلماء المقلدون في حاجة ماسة إلى تنظيم جمعية تدافع عنهم وعن عقيدتهم الصالحة وعن التأقيلات الفاسدة الضالة المضلة.

فالعالِم الجليل "فانغيل أحمد كوتي مسليار" والذي كان قد خالف البدعة ودعاتها مخالفة شديدة وأقض مضجعهم، قام بمشاورة مع العالم والصوفي المشهور الشيخ السيد عبد الرحمن با علوي ملا كويا وركل، فأشار السيد إلى عقد احتفال العلماء البارزة في ميادين الفقه والعلم للوصول إلى الحل الموافق.

وفي سنة ١٩٢٥ اجتمع بعض العلماء الكبار ورواد الأمة في جامع كاليكوت الكبير وشكلوا جمعية للعلماء بعد بحوث معمقة وحوار طويل وكان على رأس الجمعية الشيخ حسين مولوي بارول والشيخ كي بي محمد ميران مسليار.

وهذه الجمعية الجديدة قد قامت بعقد مجالس الخطب والوعظ لا سيما في المناطق التي تحكمت في أرضها البدعة وأفكارها الشنيعة. وقاموا بجولة في سائر أنحاء الولاية لتبليغ رسالة الجمعية بين العلماء والأمراء والقادة والادة.

وفي يوم ١٩٢٦/٦/٢٦ انقد مهرجان عظيم في كاليكوت وشارك فيها كثير من العلماء المشاهير من شتى أرجاء الولاية، وجددت فيه الجمعية الحالية بشكل منظمة وعرفت باسم جمعية العلماء بعموم كيرالا (سمستا) وكان رئيسها الأول هو ملاكويا تنغل وركل، وكان فانغي أحمد كوتي مسليار ومحمد عبد الباري مسليار وكي يم عبد القادر مسليار نواب الرئيس ووكل منصب الأمن العام إلى الشيخ فانغل أحمد كوتي مسليار، وفي وي محمد مسليار وبي كي محمد مسليار أدا دورا المساعد للأمين العام.

الهدف:

وأهداف الجمعية كما يشير دستورها ما يلي:

١. تبليغ الرسالة الإسلامية ونظرياتها وفق اعتاد أهل السنة والجماعة.
٢. دفاع الجمعيات وأصحابها الذين يخالفون أهل السنة والجماعة ورد دعواتهم الباطلة.
٣. القيام بمحافظة حقوق المسلمين.
٤. الاهتمام البالغ بالعلوم الدينية وتشجيع العلوم العصرية التي توافق النظرية الإسلامية.
٥. القيام بما يساعد ترقية الأمة المسلمة وحفاظتها على وجه عموم واستأصال الاعتقادات الفاسدة والانهيار الخلقي والرذائل.

الفترة الأولى للجمعية(١٩٢٥-١٩٥١):

ويعلم من تتبع تاريخ الجمعية أن لها فترتين، فالفترة الأولى تبتدئ من ١٩٢٥ تنتهي إلى ١٩٥١. وفي هذه المدة بذل العلماء جهدهم لتحكيمها وتقويتها تثبيتها في قلوب الناس من حيث كونها جمعية، وكان لا بد أن يكون لها دستور خاص ونظام اساسي حتى يسهل عليها القيام بشخصيتها وآرائها المتميزة في المجالات الدينية والثقافية،

ففي سنة ١٩٣٤ سجل دستورها نظامها الأساسي والذي أنشأه العلماء المشاهير والمفكرون، وهو يشتمل على مراحل مهمة:

١. تبليغ رسالة أهل السنة والجماعة.
٢. دفع المبتدعين ومقاوماتهم على أنفع سبيل.
٣. تشجيع العلوم الدينية والمادية تشجيعا تستحقه.
٤. تقليل الاختلافات والمنازعات داخل المجتمع وإحكام الأخوة والمساواة بينهم.

وكما أن الجمعية خالفت أصحاب البدع كذلك خالفت الطرق الكاذبة مثل جوتور وكورور وآلواي، وزالت الشك حول التوسل والاستغاثة بعقد مجالس الوعظ والمناظرات، وفي هذه الفترة دخلت الجمعية إلى ميدان الصحافة حيث صدرت مجلة "البيان".

الفترة الثانية (١٩٥١ - --) (تأسيس لجنة تعليم الدين الإسلامي لعموم كيرالا)

زلا شك أن كيرالا بلغت في الدرجة الأولى في الميدان العلمي والثقافي بالنسبة لسائر الولايات الهندية، وفضله يعود إلى لجنة تعليم الدين الإسلامي قطعا، وقد شاور العلماء حول تأسيس اللجنة في المهرجان الذي انعقد بكاريا واتام سنة ١٩٤٥ ولكن إنما تحققت حلمهم سنة ١٩٥١ في مهرجان الذي انعقد في وداكار، فشطلت اللجنة تحت رئاسة محي الدين كوتي مسليار باراونا، وفي الحفلة التي انعقدت في والاكولام بعد ستة أشهر جددت هيئة إدارتها، فكان رئيسها محي الدين كوتي مسليار وأمينها كي بي عثمان صاحب ووكل منصب أمانة الصندوق إلى السيد عبد الرحمن با فقيه، وكانت تشتمل على ثلاثة وثلاثين عضوا.

وهذه اللجنة التي تشكلت عند ما حلت العلوم المادية محل العلوم الدينية وفقدت العلوم الدينية قد قامت بنشاطات متنوعة وخدمات جليلة جديرة بالذكر حتى صارت ثورة علمية مثالية لم تسبق إليها من قبل ولا من بعد.

وشجعت العلوم المادية التي لا تذهب بقيمة العلوم الدينية حتى صار ذلك سببا لظور جماعات من العلماء ذات ممارسة تامة في كلي العلمين وهم يقومون بخدمات جليلة في شتى المجالات.

وتحت جمعية العلماء جمعيات فرعية كثيرة مثل اتحاد الشبان السنين واتحاد الطلبة السنيين لعموم كيرالا واتحاد المحال السنية يعموم كيرالا وما إليها، فالفترة الثانية كانت حافلة بنشاطات جليلة وأعمال تسجل في التاريخ. (من كتاب "جمعية العلماء لعموم كيرالا (سمستا)